



## معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة<sup>(١)</sup>

(٢)



(٥) الصورة: طابع صُمِّم للبلوغ إلى الشَّبه:

THE IMAGE: A PLEDGE DESIGNED FOR LIKENESS

مواهب ونعم القدرة على التفكير المنطقي والمعقوليَّة rationality والرَّغبة desire والذاكرة، تساعدنا أن نكتشف صورتنا الأصليَّة في نموذجها الأوَّل Prototype الذي هو يسوع المسيح. العالم الأرثوذكسي اللاهوتي المشهور بانايوتيس نيلاس Panayiotis Nellas وَصَف عملية معرفة الله برحلة مدى الحياة تنمو فيها من صورة image الله إلى شبهه likeness فقال:

”هذا يوضِّح الحقيقة أنَّ عبارة "على الصورة image" تتضمن هبة داخل الإنسان، ولكن في نفس الوقت هدف موضوع أمامه، ملكيَّة لكن مصيرًا أيضًا، لأنَّها تُشكِّل حقًّا الوجود الإنساني لكن فقط في القصد. صورة الله فينا هي القوَّة الحقيقيَّة التي يجب أن تقودنا إلى زيجةٍ روحيَّة واتِّحادٍ حقيقي بالله، أي الشراكة بين الله والإنسان. عندها فقط يصبح القصد الإلهي من الإنسان حقيقة واقعيَّة. يجد الإنسان في الأصل Archetype (المسيح) معناه الوجودي الحقيقي<sup>(٢)</sup>“.

يجد الإنسان ذاته الحقيقيَّة، في الأصل Archetype، في صورة الواحد الذي على شبهه خُلِق: يسوع؛ ولكنَّ لأنَّ علاقة الإنسان بالله تمزَّقت بسبب الخطيَّة، يلزم على الإنسان أولاً أن يأتي ليرى نفسه كخاطئ، ويُنقِّي نفسه من خلال التَّوبة، ويلتمس رحمة الله قبل أن يستطيع معرفة الله. الصورة image

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God Life's Highest Purpose & Joy*.

(2) Deification of Christ. Panaiotis Nellas. SVS Prss. Crestwood, NY. 1987.

التي شُوِّهت بالخطيئة، يلزم أن يُعاد تشكيلها، وتجديدها، واستعادتها.

يصف الأب بول إيفدوكيموف Paul Evdokimov هذه العملية كالآتي:  
"يبدأ الناسك (الزاهد) برؤية لحالته الإنسانية، لأنه "لا يمكن لأحد أن يعرف الله ما لم يعرف نفسه أولاً". "الشخص الذي يرى خطيئته أعظم من الشخص الذي يُقيم الموتى". "الشخص الذي يرى حقيقة نفسه أعظم من الذي ينظر الملائكة".  
بهذا فإن الحياة النُسكية تكشف لنا مقدار الخراب الذي سبَّبه الشر في النفس البشرية، وكأنَّ النُسك يُقدِّم لنا بدلة غوص، حتى نستطيع أن نغوص في أعماقنا، ونكتشف كهوف الشر بداخلنا التي سكنتها الوحوش، (وفي الوقت الحالي يولي الأطباء النفسيون psychiatrists وعلماء النفس psychologists اهتمامًا كبيرًا للكتابات النُسكية)، وبعد هذه الرؤية الرهيبة لهاوية النفس الخاصة بها، تتطلَّع الرُّوح إلى الرَّحمة الإلهية: "من هاوية إثمي، أتضرَّع إلى عمق نعمتك"<sup>(٣)</sup>.

إدًا، تبدأ معرفة الله بمعرفة الذات، معرفة خطايانا، وطلب مراحم الله: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ".  
يُميِّز بعض آباء الكنيسة بين "الصورة image" و"الشَّبه - المثل likeness"، فالصورة تُعطى لنا كعطية، بينما يُعتبر الشَّبه والمثل هو القصد أو الهدف الذي يجب تحقيقه من خلال النُّمو في: "قياس قامة ملء المسيح". لقد أعطانا الله الصورة كبذرة يمكننا تغذيتها ومساعدتها على النُّمو إلى زهرة يانعة تُشبه المسيح Christ - Likeness.

## (٦) مواهب الصُّورة الإلهية المُعطاة لنا حتى تُساعدنا إلى الوصول إلى المعرفة الإلهية:

صورة الله تتمثَّل في الواقع بأننا قد وُهبنا:

العقل لنعرف الله؛

الاشتياق لنطلب الله؛

الذاكرة لننتَّجه نحو الله؛

الحرية لنختار الله؛

القلب لنحبَّ الله؛

---

(3) The Sacrament of Love. Paul Evdokimov. SVS Prss. Crestwood, NY. 1985.

اللسان لتتكلّم إليه في الصّلاة، ونعترف به أمام العالم.

خلال هذه العمليّة بأكملها من النّموّ من الصّورة إلى الشّبه، فإنّ صورة الله التي في داخلنا تشعر وكأنّ شيئاً ما مثل قوّة مغناطيسية تجذبها نحو شبيهاها، الأصل Archetype، أو النّمودج الأوّل Prototype الذي هو الرّب يسوع. توجد أيضاً قوّة جاذبة إلى أسفل بداخلنا (التي هي الخطيّة، راجع: رو ٧: ١٩-٢٥)، ولكن يوجد جذبٌ تصاعدي أعظم وأكثر قوّة بنعمة الله نحو الأصل Archetype، وبمعنى آخر: الكلمة the Logos، ابن الله. إنّها قوّة الجذب التي لنعمة الله إلى أعلى التي مكّنت القديس بولس أن يقول: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (في ٤: ١٣).

نحن مدعوّون لتحقيق صورة الله فينا من خلال الرّوح القدس. كيف؟ من خلال تفعيل العطايا المتأصّلة في الصّورة؛ وأولها أن تعرف KNOW الله، وهذا يتبعه مواهب أخرى للصّورة، أي الاشتياق لله، البحث عن الله، تذكّر الله، اختيار الله، طاعة الله، طلب رحمة الله، الصّلاة إلى الله، ومحبة الله.

#### (٧) ما فائدة الوجود إذا لم يستطع المرء أن يعرف الله؟

قال القديس أثاناسيوس St. Athanasius: لو أنّنا لم نستطع أن نعرف الله، فلماذا نعيش؟ ومضى ليقول:

[ما فائدة وجود المخلوق إذا لم يكن قادراً أن يعرف خالقه؟ كيف يمكن للناس أن يكونوا كائنات معقولة إذا لم يكن لديهم معرفة بالكلمة وإدراك Reason الآب اللذين من خلالهما نالوا وجودهم؟ لن يكونوا أفضل من البهائم إذا لم يكن لديهم معرفة إلّا بالأشياء الأرضيّة؛ ولماذا كان على الله أن يخلقهم على الإطلاق، لو لم يكن يقصد أن يعرفوه؟ ولكن في الواقع، قد أعطاهم الإله الصالح أن يُشاركوه في صورته image ... لماذا؟ ببساطة لكي يتمكّنوا من خلال عطية gift التشبّه بالله في أنفسهم، أن يدركوا الصّورة المطلقة Image Absolute، أي الكلمة نفسه، ومن خلاله يتم إدراك الآب؛ تلك المعرفة لخالقهم التي تكون لنا منها الحياة الوحيدة السعيدة والمباركة<sup>(٤)</sup>.]

قال القديس أثاناسيوس، نحن خلّقنا على صورة الله ذاته، ولذلك من خلال صورته فينا نستطيع أن نعرفه. فوجود الله هو احتياجٌ فطري داخل الإنسان، إنّهُ جزء من صورته فينا. ولهذا السّبب، فإنّ كلّ

---

(4) On the Incarnation. SVS Press Crestwood, NY. 2002.

الشُّعوب – حتى منذ العصور المُبكرة – كانوا يعبدون ويُقدِّمون ذبائح لنوع ما من الإله أو الآلهة. بعد أن أقامت المُدرِّسة سوليفان Miss Sullivan وسيلة اتِّصال مع هيلين كيلر Helen Keller التي كانت ضريرة وصمَّاء وبكماء، شعرت أنَّها تريد أن تُخبرها عن الله. وبمجرَّد أن بدأت تُخبرها عن يسوع؛ أجابت هيلين كيلر بانفعالٍ عظيم: ”أعرفه! أعرفه! أنا فقط لم أكن أعرف اسمه“.

#### (٨) القديس غريغوريوس النيصي عن معرفة الله:

إنَّ هذا الذي يطلب الله سوف يجده بطُرُقٍ أكثر عمقًا وذات مغزى. كان للقديس غريغوريوس النيصي St. Gregory of Nyssa المُتصوِّف نظرة عميقة في الطَّبيعة الديناميكيَّة لبحثنا عن الله، ويُشبَّه الله بينبوع ماء يتدفَّق من الأرض، فكتب وقال:

[في اقترابك من النُّبع، ستندهش عند رؤيتك أنَّ المياه كانت كما لو كان لانهاية لها حيث تتدفَّق وتصب، ومع ذلك لا تستطيع أن تقول أبدًا إنَّك رأيت كلَّ المياه. كيف يمكنك أن ترى ما لا يزال مُخبأً في حُضن الأرض؟ ومهما كانت المدَّة التي تقضيها عند النُّبع، فإنَّك كنتَ دائماً تشعر كما لو كنتَ تبدأ في رؤية الماء، لأنَّ الماء لا يتوقَّف أبدًا عن التدفُّق، ويبدو دائماً كما لو كان في الظُّهور والتدفُّق من جديد. إنَّه نفس الشَّيء مع مَنْ يُثبَّت نظره على جمال الله اللامتناهي، حيث يتمُّ اكتشافه باستمرارٍ من جديد، ويُنظر إليه دائماً على أنَّه شيءٌ جديد وغريب مقارنةً بما فهمه العقل بالفعل. وبينما يستمرُّ الله في الإعلان عن ذاته، يستمرُّ الإنسان في التعجُّب، وهو لا يستنفد رغبته أبداً في رؤية المزيد، حيث إنَّ ما ينتظره هو دائماً أكثر روعة وأكثر قدسيَّة عن كل ما شاهده بالفعل] (الشَّرح على نشيد الأنشاد ٥: ٢، العظة الحادية عشرة).

يمكن أن تكون مهمَّة معرفة الله تجربة مُثيرة ومُجزية للغاية.

ذات مرَّة قارن يسوع نفسه بينبوع ماء عندما قال للمرأة السامريَّة:

+ «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطِشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطِشَ إِلَى الْأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعٌ مَاءٍ يَنْبُعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ٤: ١٣-١٤).

